

حافظ بك ابراهيم

بمناسبة ذكره

بقلم السيد أحمد العجان

تمة

- ١٢ -

نصائح الى البائسين :

١ - الهجرة خير للفقير :

إن ضيق العيش لا يرضى به إلا ذليل خطمه النذل ، وجبان أفعده الخوف ؛ والكسل والعجز والحول آفة المصري ، وكثير من الشرقيين ضربوا في الأرض ، وركبوا البحار ، فأثروا ليس خيراً للمعدم أن يجوس خلال البلاد ، يطلب سعة ويبتغي سعادة ؟ لقد سبقه في الهجرة كثير من أبناء الشام ، ورجال الشرق :

ما طابهم أمهم في الأرض قد تروا

فالشهب منثورة مذ كانت الشهب

ولم يضرهم سراء في منابكها

فكل حى له في الكون مضطرب

رادوا المناهل في الدنيا ولو وجدوا

إلى الهجرة ركبا صاعداً ركبوا

أو قيل في الشمس للراحين منتجع

مدوا لها سيباً في الجو وانتدبوا

وقدعاً غادر هو الوطن ، وزح عن بلاده ، يطلب عيشاً ،

ويروم رزقاً :

ترحت عن الديار أروم رزق وأضرب في المهامه والتخوم

ولولا سورة للمجد عندي قنمت بيمشيتي قنع الظليم

وكان في مقدوره أن يتقاعد لو كان يرتضى وجدان

مواطنيه ، ولكنه يأتي أن يكون خاملاً :

فياليت لي وجدان قومي فأرتضى حياتي ، ولا أشق بما أنا طالبه

بنامون تحت الضيم والأرض رحبة

لن بات يأتي جانب النذل جانبه

يضيق على السوري رحب بلاده فيركب للأموال ما هو راكبه

ويخرج بالرومي مذهب رزقه فتفرج في عرض البلاد مذاهبه

وعجيب أن يقيم بيننا الغربي فيتمى ويخصب ، ونحن قعود عن منافسته وسبقه ومجاراته

سابق الغربي واسبق واعتصم بالبروءات ، وبالباؤس اعتصاما

جانب الأطماع وانهج نهجه واجمل الرحمة والتقوى لزاما

وامتط العزم جوادا للملا واجمل الحكمة للعزم زماما

ومع هذا الفقر الذي ساءل من أجله السراة والترفين ،

والذي من أجله حبيب الهجرة ودعا إلى الأرحمال ابتغاء الرزق ،

ومع حاجته إلى الأنصار والأعوان يدون له يد المساعدة ، ويقدمون

له المطايا ، فانه جد حريص على كرامته ، يحتفظ بها وبرعاها

ولقد راق لديه ما فعل « فيكتور هيجو » بعد أن زج في

السجن ، وحشد في زمرة السفاكين والمجرمين ، وأراد الولاة

الفاصبون أن يعتنوا عليه بالمغو ، فأبى واستكبر أن تسدى إليه

المغويذ مذنب أميم :

طاق في منقاه أن يدنو به عفو ذلك القاهر المنتصب

بشروه بالشداني ونسوا أنه ذاك المصامى الأبي

كتب التنقي سطرأ للذي جاده بالمغو فاقر أو واجب :

أبرى عنه يغفو مذنب ؟ كيف تسدى المغوكف المذنب ؟

وكثير من العلماء النابهين ، والشعراء والسكاكين ، والأئمة

والزعماء ، درجوا في منابت الفقر ، وقاسوا عن العيش ، فطلبوا

الجاه في العلم ، والشرف في الكرامة ، والهيبية في الأباء ، وخلقوا

لأنفسهم مجدأ لا يقاس به عرض الدنيا : فلقد كان بشار بن برد

الشاعر النابه من أولئك الفقراء ، إذ كان أبوه طياناً يضرب

اللين ، وكان أبوالعنايه يبيع الفخار بالكوفة ، والجاحظ يبيع

الخبز والسمك ، وأبو تمام يسقى ماء بالجرة في جمع مصر ، كما كان

أبو حنيفة بزازاً ، وكما هو مشاهد الآن في زعامة الأم الراية

أمثال روزفلت ، وهتلر ، وموسوليني

إن الظروف القاسية تحطم عطاء الرجال ولكنها لا تجرؤ أن

تحطم التفاؤل عند التفاثلين ، وهؤلاء الذين يجالدون آلام الجوع

والمنبئة ، وفي قلوبهم إيمان وفي ضمائرهم حياة ، ليس شيمتهم

التفاؤل فقط ، ولكنه التفاؤل الرخيص

وكان حافظ رحمه الله أحد هؤلاء التفاثلين ، كما ينطق بذلك

شعره صريحاً بينا :

على أنسى لا أركب اليأس مركباً ولا أ كبير البأساء حين تمير

نفسى برغم الحادثات فنية عودى على رغم الكوارث مودق

فاجمل شمالك رحمة ومودة إن القلوب مع المودة تكسب
لقد طبع حافظ مدحه بطابع المصلحة للجمع ، والنفع
للوطن ، والتعبير عن أحاسيسه وآلامه والذود عن شرفه
وكرامته . وكان هذا المدح يتقدم به في قصائده كالتشبيب عند
السابقين كما في قصيدته التي رثى فيها لسمو الأمير عباس الثاني في عيد
رأس السنة الهجرية

قصرت عليك العمر وهو قصير وغالبت فيك الشوق وهو قدير
وأنشأت في صدرى لحسنتك دولة لها الحب جند والولاء سفير
فؤادى لها عرش وأنت ملكه ودونك من تلك الضلوع ستور
وما انتفضت يوماً عليك جواحمي ولا حل في قلبي سواك أمير
ثم انتقل — بعد أن عرض للهوى والمعبية والغرام —
إلى آمال الوطن ومطالبه :

أمولاي إن الشرق قد لاح نجمه وأن له بعد المات نشور
مضى زمن والغرب يسطو بحوله على ومالي في الأنام ظهير
إلى أن أتاح الله للصقر نهضة فقلت غرمار الخطب وهو طرير
جرت أمة اليابان شوطاً إلى الملا ومصر على آثارها ستير
وما منع المصري إدراك شأوها وأنت لطلاب الملاء نصير
قف موقف الفاروق وانظر لأمة اليك بعبات القلوب تشير

— ١٤ —

في مصر فقراء وأيتام وذوو خصاصة ، ولم حقوق على المجتمع
الذي يعيشون فيه ويمملون له

١ — لم حق التعليم حتى يرتفع مستواهم ، وتملوا منازلهم
وحتى يتضامنوا مع المجتمع في بناء مجده بوحى من الضمير ووازع
من النفس ، لا بطريق المسخرة والأجبار ، وحتى تكون الملاقة
بين أفرادهم وهيئاتهم بعضهم مع بعض علاقة محبة وإخلاص
وولاء ، لا علاقة سيادة وغطرسة وكبرياء

٢ — ولم حق تبصير سبل الرزق ؛ بفتح أبواب العمل
أمامهم ، والسهر على صوالحهم ، ورعاية شؤونهم ؛ حتى يعيشوا
وأسرانهم في مأمن من الجوع والخصاصة ، وحتى لا يشغلوا المجتمع
بسرقاتهم وسطوهم

٣ — ولم حق المعالجة في بيوت الشفاء والمصحات ، حتى
تسلم جسامهم من الملل ، وتصح أبدانهم من الأسقام . فنحن في
ميدان نهضة ، وكل نهضة لابد لها من عدة ، فلتكن عدتنا رجالاً
أشداء البنية أحماء الأجناد ، سليمي العقل فاهمين حازمين ، كي

فيقلب لا تجزع إذا عضك الأسي فانك بعد اليوم لن تتألما
ولئن تباينت عليه نارات الأحداث ، وطوارق الخير ، فان
ذلك لا يثنيه عن عزيمته ، ولا يقمده عن غايته ، ما دامت العلياء
رائده ، وشرف الغاية مأربة :

مرحباً بالخطب ييلوني إذا كانت العلياء فيه السببا
عنى الدهر ولولا أنني أوتر الحسى ؛ عقت الأديبا

— ١٣ —

لقد مدح حافظ كل ذى جاه في الدولة ، أو ذا تصريح في
أمور البلاد ، أو من أنس منه الخير يجلب والشر يثقي ، وهو
طبيعي في رجل لحافظ مجرد من القوة ، وأسفر من المال ، فركن
إلى الولاة والحاكين يتق عواديبهم ويأمن جورهم ، وقد يناله
خيرهم ، ويدركه نفعهم

ولكنه في مدحه الذي من أجله عرض أفاض اللغة ؛
« ونبش^(١) بطون الكتب ، وقلب أحشاء القواميس ، ثم
استخرج من الألفاظ أطالها وأحلاها ، ومن الماني أسماها
وأعلاها ، وصاغ من كليهما مدحة تهز المدوح وتطربه ، »
لم يخالف ضميره ولم يتجر بوطنيته ، ولم يرق ماء وجهه ، ويغتم
كرامته . بل كان يقف عند دهاء السياسة وحزم الرجولة ، ولين
الجانب حيث لا مغمز ولا مخرج

مدح الخليفة وسلاطين الدولة العثمانية ، وخديو مصر
وأمرائها ، ورجال مصر وسرانيها ، بل مدح اللورد كرومر
وملك الأنجليز ومنسوب الأنجليز . ولكن ما كان مدحهم تلقاً
ورياء ، بل كان أشبه بالتشبيب يقدمه الشاعر لتصني الأسماع إليه
وتتملق القلوب بما يمدح ، ثم يتناول مطالب الشعب يقدمها ،
وشكايات الوطن يلفت الأنظار إليها ، وقد ينتقد في السياسة ،
ويتهم بمسلك الحاكين ، كما حدث في قصيدته التي رفعها إلى
عميد الدولة البريطانية بعد حادثة دنشواي

قصر الدبارة هل أذاك حديثنا فالشرق ربيع له وضع المغرب
أهلاً بساكنك الكريم ومرحبا بمد التحية إنني أتمت
ماذا أقول وأنت أصدق ناقل عنا ولكن السبلة تكذب
أقمت منا أن نحس ؟ وإنما هذا الذي تدعو إليه وتندب
أنت الذي يمزى إليه صلاحنا فيما تقرره لديك وتكتب
أو كفا بلح الحزين بأفة أمست إلى معنى التعصب تنسب ؟

(١) حافظ : ليل سطيح

ومن عيظ استار الجهل إن طلمست معالم القمدين الشك والريب؟
فما لكم أيها الأرقام جامعة إلا بجامعة موصولة السبب
والحق أن حافظاً صورة من النفسية المصرية العامة في هذه
الفترة ، فترة الانتقال والحيرة والاصطدام في جميع النواحي
السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، فهو على ذلك قد أدى
رسائله في الحياة ، وقام بواجبه نحو وطنه وشعبه ، لأنه بصر
بآلامه ، وتفنى بالأمل المنشود ، والمصلحة المرجوة ، ووقع على
قيثارة الحنان أمثيد الأسي وأنات البائسين ، فجزاه الله كفاء
وقائه الجنة وحسن المقام وخلود الذكر **السيد أحمد العبد**

وزارة المعارف العمومية

اللجنة الوزارية الاستشارية للبعثات الحكومية

تعلم إدارة البعثات بوزارة المعارف أنها ستوفد في
هذا العام بعثتين عضو واحد من الحاصلين على دبلوم
الهندسة الملكية قسم (الكهرباء) للتخصص في الرياضة
والطبيعة بجامعة كبرديج بأنجلترا لاعداة للتدريس بمدرسة
الهندسة الملكية

فلى من يريد ترشيح نفسه لهذه البعثة أن يقدم
طلبه بذلك على الاستشارة الخاصة المدة لتلك . ويمكن
الحصول عليها من إدارة غظاره وزارة المعارف بدرب
الجاميز بالقاهرة نظير دفع ثلاثين ملياً . ويرسل هذا
الطلب بعد استيفائه مسجلاً بطريق البريد إلى : حفزة
صاحب المعالي رئيس لجنة البعثات بالمعارف . وذلك
إذا كان الطالب غير موظف في الحكومة . أما إذا
كان موظفاً فيها فيجب أن يقدم طلبه إلى رئيس المصلحة
التي هو تابع لها

وفي كلتا الحالتين يجب ألا يتأخر وصول الطلب إلى
سكرتارية لجنة البعثات بوزارة المعارف عن ١٠ أغسطس

سنة ١٩٣٥

١

يكون منهم الجندي الباسل ، والزارع النشيط ، والصانع الحاذق ،
والوطني النيور ، إلى آخر ما يتطلبه الوطن ليسلم ، وتستدعيه
النهضة لتدوم .

٤ - على أن منهم العاجز الضعيف ، واليتامى الذين
لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا ، كل أولئك في حاجة إلى
ملاجه يأوون إليها ، ومدارس يتعلمون بها ما ينفع الجماعة ويدير
عليهم الخير

• - ثم من فوق ذلك ، ومن قبل كل ذلك ، لهم حق قد
يطلو على كل الحقوق في جلال شأنه وخطره ، ذلك هو أن
يشعروا بمطغ ذوى الجاه وأرباب النفوذ وأولياء الأمور ، حتى
يشربوا في قلوبهم جههم ، ويولوم الطاعة التي تحقق لهم رغباتهم
هذه حقوق الشعب المسكين كما يراها حافظ ، فهو يرقب
فرصة اعتلاء سمد منصة الحكم فيتقدم إليه يقول :

يا سعد إن بمصر أرب تاماً تؤمل فيك سندا
قد قام بينهم وبين العا م ضيق الحال سندا
مازات أرجو أن أرا ك أبا ، وأن ألقاك جدأ
حتى غدوت أبا له أنحت عيال القطر ولبا
فاردد لنا عهد الأما م وكن بنا الرجل المفدى

عليكم حقوق البلاد أجلها تعهد روض العلم فالروض مقفر
قصارى سنى أوطانكم أن ترى لكم بدأ تبتنى مجدأ ورأساً يفكر
فتعلموا فالعلم مفتاح الملا لم يبق باباً للسعادة مطلقاً
وقصيدته في سبيل « الجامعة » تبين رأيه في التعليم ، وأنه
لا يقنع بالأوليات السطحية ، بل بالثقافة الرشيدة والدراسة
الحكيمة ، وأن ألف كتاب لا تعدل مدرسة عالية أو جامعة
منظمة ؛ لأننا نستبدل بالكتاتيب داء الجهل بداء أشد خطراً
وهو الفرور

ذر الكتاتيب منشها بلا عدد ذر الرماد بعين الحاذق الأرب
فأنشأوا ألف كتاب وقد علموا أن الصاييح لانغنى عن الشعب
هبوا الأجير أو الحراث قد بلغا حد القراءة في صحف وفي كتب
من الداوى إذا ماعلة عرضت؟ من المدافع عن عرض وعن نشب
ومن يروض مياة النيل إن جنحت

وأنذرت مصر بالويلات والحرب؟
ومن يوكل بالقسطاس بينكم حتى يرى الحق ذا حول وذا غلب؟